العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

الضفائر المنسدلة في رواية الخيميائيّ لــ باولو كويلو (الــبــحــث في الــهــويــة)

م.د.شيماء حديد دانة
جامعة الفرات الأوسط التقنية/ الكلية التقنية المسيب
shimaahadeed@gmail.com

الــمــلــخــص:

يحاول هذا البحث مراجعة الهوية في رواية(الخيميائي), لأنها تحاول أن تنتقد العرب في عروبيتهم, وفي معرفة ذاتهم, إذ ترى الرواية إن العربي تائه, في الوقت كانت الجيوش العربية تتوسع في بقاء الأرض, فضلا عن الأندلس -إسبانيا- التي أصبحت عربية وانتشر الإسلام فيها, وجاء النقد من كاتب الرواية, الاسباني(سانتياغو) الذي لايملك بلاده لغة رسمية, إذ يتحدثون اللغة البرتغالية, فضلا عن الشخصية المحورية(سانتياغو) ظل تائها في البحث عن ذاته وعن الأرض التي تحويه, فالهوية أشبه بالضفيرة المنسدلة, فهي متينة وعريقة في عروقها, إلا أنها تضعف عندما يبتعد الفرد ويحتذي طرقا متلويه في البحث عن هويته واسمه ووجوده, فيكتشف فيما بعد أن اسمه موجود وهويته ثابته, ونسبه متأصل, فيكون بحثه صدى, عندما يرتفع الصوت يرجع إلى صاحبه منكسرا ، جاء البحث باحثا عن على محاور الثلاث هي: المحور الأول : رحلة في تخوم الذات والرواية والمحور الثاني: الهوية الفردية الضياع الوجودي ووهم إثبات الذات والمحور الثالث: الهوية القومية والتعانق الحضاري

الكلمات المفتاحية: الهوية, الخيميائي, ضياع واثبات.

Drop- down braids in Paulo Coelho's novel The Alchemist Identity research

Shaimaa Hadeed Danah

This research attempts to examine the concept of identity in the novel *The Alchemist*, as it critiques Arabs' Arab identity and their self-knowledge. The novel portrays the Arab as lost, even as Arab armies expanded their territories, including Andalusia (Spain), which became Arab and where Islam spread. This critique comes from the novel's author, Santiago, a Spaniard whose country lacks an official language, as they speak Portuguese. Furthermore, the central character, Santiago, remains lost in his search for identity and the land that sustains him, Identity is like a flowing braid; strong and deeply rooted, yet it weakens when an individual strays and takes circuitous paths in their search for their identity, name, and existence. They may later discover that their name already exists, their identity is fixed, and their lineage is firmly established. Their search becomes an echo; when the voice rises, it returns broken to its source. This research explores three axes: Axis One: A Journey into the Borders of Self and Narrative Axis Two: Individual Identity, Existential Loss, and the Illusion of Self-Proof Axis Three: National Identity and Cultural Embrace

Keywords: Identity, Alchemist, Loss and Proof .

تــــوطــئــــة :

تظل الرواية موقفا من الحياة وصياغة لضمير العصر, وتعبيرا عن مشاعر الإنسان وأفكاره وخبراته وحركاته ونشاطاته , وهي تسجل جانبا من كفاحه ومعاناته وطموحاته في علاقته في الحياة سلبا وإيجابا؛ لقدرتها(الرواية) على تخطي المحلي نحو الإنساني والعام والشامل , وكسرها لحدود الزمان والمكان وخروجها من دائرة الآني والذاتي للوصول إلى الكوني الواسع , فضلا عن قدرتها على البقاء والديمومة حتى باتت فضاءً رحبا للمتابعة النقدية الدقيقة ووضعها في المكان المناسب في حركة الثقافة ومسيرتها في ساحة المجتمعات , تلك الساحة التي تقوم على أسس وتقاليد وقوانين للدراسة والبحث .

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

ويتحقق ذلك المعنى لدى الأديب الذي يستند في رصد واقعه وتحسس نبضه الخفي إلى رؤية واضحة تصله إلى الصدق الفني في الرصد والكشف عن علاقة الإنسان بالواقع وفهمه الخاص حركة مجتمعه . ولا شك في أن الصدق الفني سيوقفنا على الرؤية الأدبية العميقة للكون لدى هذا الأديب/ الروائي بغض النظر عما يقرره في حياته وأقواله خارج الأدب ؛ لأن الإنسان في مجال الأدب((**يصور علاقات اجتماعية حقيقية ويرسم صورة للعالم –كما يراه- في وعيه , ولا وعيه معاً ؛ ولهذا فلابد للكاتب أن يكشف عن أعماق موقفه حين يكتب أدباً**))[1] , ومن هنا يمكن القول أن مهمة الروائي في الوقت الحالي معنيٌّ بأن يردم العقبة الصلبة بينه وبين أي عالم يُشعره بالظلم والقهر والاستلاب , منطلقا من عالمه الخاص (الداخليّ/ النفسي) ذلك العالم الغني بالأحلام والتطلعات والرؤى والرموز والدوافع وغيرها ؛ ليكسر بهذا إطار المنطق والعقلانية والموضوعية في رصد نقطة الضوء في ظلام واقعه في الماضي والحاضر والمستقبل فضلا عن الزمان والمكان .

ولكننا في محاولتنا قراءة رواية (الخيميائي) للروائي (باولو كويلر) نحاول أن نعيد ترتيب المادة الداخلية وإعادة ربطها بشكلها البنائي العام للخروج بحالة من التوازن بين الداخل والخارج , منطلقين بذلك على مجموعة من الفرضيات والحقائق للوصول إلى دقائق النسيج الروائي وبنيته العامة من داخله عبر عرض شامل لمفاصل الهوية على اختلاف منابعها ومفاهيمها ومحطاتها الأساسية في السرد وحركة الأحداث ليرسو القارئ على مشارف المتعة الفنية والفائدة الجمالية .

المحور الأول:

رحلة في تخوم الذات والرواية:

عندما يتبادر السؤال عن الهوية[2] قد تبدو إجابة هذا السؤال يسيرة ومحددة , إذ ستتبادر إلى الذهن مفاهيم ترتبط بالشخصية الفردية, كأن يكون الانتماء ومعرفة الذات التي تتواجه مع الآخر وغيرها من المفاهيم التي تتحدد بالوطن وخارجه , وحين يسأل الإنسان عن هويته فأنه سيجيب بقوميته , أو بعشيرته أو بنسبه التي يحصرها بلده أو بانتمائه السياسي والديني أو الاقتصادي, أو ما تسمى بخرافة النسب , التي تدفع إلى مصادرة المستقبل و التضحية بالحاضر .

ولكن هناك ما يمنع من التسليم بهذا المفهوم؛ لاختلاف المفهوم في البحث عن الهوية أو البحث في الهوية من جهة , وبين الهوية بوصفها الضمير أو الذات-يتطلب البحث في الهوية- وبين الهوية بوصفها انحياز وموقف, أي بوصفها بنية توجه حياة الإنسان-يتطلب البحث عن الهوية- ؛ فـيتحقق الأوّل أي البحث في

---

1 - قراءات في أعمال (يوسف الصائغ , يوسف إدريس ,جبرا إبراهيم جبرا , حنا مينة) , غالب هلسا , دار ابن رشد, عمان : 132.

2 - يتداخل مفهوم الهُوية بضم الهاء , مع مفهوم الهوية بفتح الهاء حتى أزاحت الثانية الأولى وأصبحت أكثر تداولا واستعمالا , حتى أن المعاجم العربية لم تعنِ بالمعنى المعجمي (للهُوية)2 بضم الهاء , بيد أنها ذكرت معنى (الهَوية) بالفتح بمعنى الهوى والهواية الُهوة أي القعر , لعل مرجع ذلك إلى انزياح لفظة (الهُوية) إلى الهوية بالفتح الذي جاء من اختلاف سؤال الهوية في تأكيدها على الذات وبحثها عن الثابت والمتغير في كيان الأمة الحضاري وهذا الاختلاف ينبع من اختلاف التأويلات والمنطلقات الفكرية والايديولوجية والتخصصات العلمية والمعرفية ومن ثمة اختلاف الغايات , بالرغم من أن العرب القدماء كانوا يستعملون لفظة (هُوية) بالضم التي نحتوها من الضمير المنفصل (هُو) الذي يدل على الكينونة والوجود , من ثمة أنزاح مفهوم (الهو) في الفلسفة الحديثة والنقد المعاصر إلى (النحن) , وهو انزياح من الشيء المفكر إلى (الأنا المفكر) بتعبير ديكارت (أنا أفكر فأنا موجود) , دلالة على الترابط الوثيق بين التفكير والوجود , ليتحول اللفظ ملائمة لذلك التغيير في المعنى والدلالة , ويؤيد ما ذهبنا إليه محمد نور الدين أفايه بقوله : ((إن انزلاق العرب المعاصرين في استعمال لفظة هُوية من معناها الانطولوجي لدى الكندي أو الفارابي أو ابن سينا أو ابن رشد إلى دلالتها الانثروبولوجية والثقافية الراهنة هو ليس خطأ اصطلاحي أو استعمالا اعتباطيا بل هو يستجيب غلى نفس الداعي الخفي الذي دعا المترجمين العرب الأوائل على اعتماد ضمير(هو) لمقابلة (إيس) اليوناني , هذا الانزياح من (هو) النحوي والانثروبولوجي الى (الهو) الانطولوجي ثاوٍ عفو في بنية اللغة العربية)) , ينظر: الهوية والاختلاف(المرأة, الكتابة , الهامش, محمد نور الدين افاية , دار إفريقيا الشرق , و الدار البيضاء : 19 .

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

الهوية بوجود (الآخر) بوصفه مفهوماً متعلقاً بكل ما يقع خارج الذات , لأن التصور الذي يكوّن مفهوم الذات يستدعي وجود الآخر[3] , فوجوده(الآخر) يقدم وظيفة تتعين بوساطتها الذات وتتحدد أبعادها[4] , ولقد جعلت عملية التلازم بينهما , الآخر مفهوماً مصدره الذات , لأنه يمثل أصداء الأفكار التي ترددها الذات على شكل حوار داخلي , هو في حقيقته صوت الجماعة المحيطـــة , إذ تتمثله النفس في تصورها لخطابهم[5] ؛ لذا يمكن القول أن البحث في الهوية بحث معرفي، أما البحث عن الهوية فبحث أيديولوجي غالباً.

يمكن القول إن البحث في الهوية بحث خلّق لهذه الهوية ومتابعة لخلقها باستمرار. أما البحث عن الهوية فيعني أن الهوية منجزة ولكنها ضائعة يجب البحث عنها لاستردادها ؛ فيكون بذلك البحث في الهوية بحث علمي له أبعاده الفلسفية , فضلا عن هو بحث في وحدة الانتماء و العام، والمشترك، والكلي في كل شيء يبدو وكأنه خاص وفردي وجزئي كاللغة والدين والحقوق ...الخ , حتى أصبح هدف البحث في الهوية هو بحث عن الوحدة في المتنوع ، و بحث عن كل ما يؤدي إلى التقارب والالتقاء عند نقاط مشتركة. أي إنه ليس بحثاً عن شيء كنا نمتلكه ، ثم أضعناه بل عن شيء نصنعه باستمرار، وهو قيد الإنجاز دائماً، في ضوء منطق معين، ومبادئ وكليات معينة . أما البحث عن الهوية فلا يمكن أ ن يرقى لمستوى البحث العلمي، لأنه ليس بحثاً بريئاً يهدف إلى تحديد مجمل السمات والملامح والمقومات التي تحدد الهوية بل يهدف إلى تبني موقف أو انحياز أو اختيار أو أيديولوجيا , يكون كـــ برنامج عمل يحاول أن يبحث عن هوية ما متصورة في ذهن ما, يمكن تشبيهها كمن يبحث عن مملكة مفقودة أو كنز مدفون , ثم يحاول بعد ذلك أن يطابق بين ذاته، وبين هذه الهوية المختارة، هذه الهوية النموذج الذي يكون على وفق اختياره وأيديولوجيته , ويمكن القول أنها محاولة لتأكيد الذات والسمو بها , وهو مماثل في واقعنا المعيش عندما يحاول كل تيار فكري بفصائله المختلفة أن يجيب من أنا وما هويتي؟ فتكون تلكم الإجابة على وفق اختياره وتركيبه الاجتماعي والثقافي والأيديولوجي وما يمتلك من قوة التي تحقق مصالحه وأهدافه لنجاح مشروعه النهضوي والثوري الذي يحقق التنمية الحضارية ((**لاسيما عبر فرض نوع من التنمية الاقتصادية المشوهة، والتابعة، والتي لايمكن أن تقود إلا إلى مزيد من التبعية**))[6] .

ومن هنا يمكن القول إن في البحث في الهوية أو البحث عنها هو محاولة للوصول إلى إطار مرجعي نشيد من خلاله بناء مجتمع يريد أن يحقق مملكته وإطاره المرجعي الذي يبدأ به الأفراد في تكوين فكرهم وإنتاجهم وثقافتهم وكذلك إنجازاتهم ومن ثمة تحديد نقطة الانطلاق التي تجمع وحدة الهدف الذي يدفعنا إليه فكر معين . إن الفكرة الأساسية من البحث في الهوية هو البحث عن نواميس وأعراف تسالم عليها أفراد المجتمع , والتي تكشف عن ثقافة المبدع وثقافة نصه الذي يرصد مجموعة من الأعراف الإنسانية فحاكت حروفه ونسجتها بمجموعة من التصورات الفلسفية والدينية والاجتماعية , فلم يعد النص يسير باتجاه واحد فقط , إنما اخذ النص يتظافر ويتلاحم مع خبرات السابقين والمعاصرين وتجاربهم لتخلق نصا ينسدل في مجرى المجتمع ويروى منه أفراده .

ومن هنا يمكن أن نحدد ما هي الأبعاد التي تحدد الهوية , والتي لها الدور في تعدد اصطلاحها, هي :

<u>أولا : البعد النفسي :</u>

---

3 - ينظر : الإنسان ومشكلاته المعاصرة الاغتراب , الآخر , الانتظار , الأمل , حسن يوسف , دار الأجيال , القاهرة, ط1 , 22008 : 80 . و تمثيلات الآخر صورة السود في العصر العربي الوسيط , نادر كاظم, المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ط1 , 2004 : 313 .

4 - ينظر : الإنسان ومشكلاته المعاصرة " الآخر ـ الاغتراب ـ الانتظار ـ الأمل " : 52 .

5 - ينظر : شخصية الفرد العراقي , علي الوردي , مطبعة الرابطة , بغـــداد , د.ط , 1951 : 33 , و تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط : 20 .

6 - الهوية والتراث, صلاح قانصورة , دار الكلمة , ط1, بيروت, 1984: 95.

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

يعبر البعد النفسي عن مدى قدرة الفرد على التكيف والتسامي مع مجتمعه الذي يعيش فيه ويعبر من خلاله عن حاجاته ورغباته ومعتقداته, فضلا عن شعوره بالانتماء إلى جماعة أو غطاء إنساني اكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات . وهنا _في البعد النفسي_ تكون الهوية حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية , ومحاولة الارتباط بالجانب السياسي أو الاقتصادي؛ لأن البعد النفسي يحقق هوية مشروعة.

. ثانيا: البعد الاجتماعي

يستدعي البعد الاجتماعي حضور اللغة والدين والعادات والتقاليد في المجتمع لتميز هذا الأفراد في هذا المجتمع عمن سواهم, والهوية بهذا المفهوم تطال عدة مستويات وتشمل عدة مكونات , أي أنها مفهوم واسع يشمل كافة النشاط الإنساني فيندرج منها عدة مستويات : الهوية البيولوجية , الهوية الاجتماعية , الهوية الثقافية .

ثالثا: البعد القوميّ والوطني والأممي :

يتداول مفهوم الأمة والوطن والقومية, بالرغم من العلاقة بينهما سببية, إذ لا وطن بلا قومية, ولا قومية بلا أمة , فـ الأمة سابق عليهما لأنها الروح والجوهر الذي يحافظ على إرث الإنسان وامتداده الحضاري , يتحقق جوهرها وروحها بقوميتها , لأن القومية إرادة الفرد في تحقيق انجازاته وممارساتها التي يعرف بها وتميزه عمن سواه من الأمم الأخرى .

فالهوية فلسفة وفكر وحضور وجودي , وهذا يدعنا أن نتسائل هل هي غاية أو وظيفة أو وسيلة أو وجود حقيقي؟ وهذا ما سنعرفه من خلال البحث في هويات رواية (الخيميائي) وتتبع تطورها وانتمائها .

ملخص الرواية :

سانتياغو[7] راعٍ اندلسي مضى منذ شبابه إلى البحث عن حلمه المتمثل بكنز مدفون قرب أهرامات مصر, بدأت رحلته من إسبانيا عندما التقى الملك "ملكي صادق " الذي أخبره عن الكنز, عبر مضيق جبل طارق، مارا بالمغرب، حتى بلغ مصر وكانت تواجهه طوال الرحلة إشارات غيبية , وفي طريقه للعثور على كنزه الحلم، تقع له أحداث كثيرة كل حدث منها استحال عقبة تكاد تمنعه من متابعة رحلته، إلى أن يجد الوسيلة التي تساعده على تجاوز هذه العقبة , تتمثل بشخص يلح عليه إكمال رحلته , لعل أهمها سلب ماله مرتين , ليؤدي به العمل في متجر للبلور، يرافق رجلا إنجليزيا (يريد أن يصبح خيميائياً)، يبحث عن أسطورته الشخصية، يشهد حروبا تدور رحاها بين القبائل، إلى أن يلتقي "الخيميائي" عارف الأسرار العظيمة الذي يحثه على المضي نحو كنزه. في الوقت نفسه يلتقي "فاطمة" حبه الكبير، فيعتمل في داخله صراع بين البقاء إلى جانب حبيبته، ومتابعة البحث عن كنزه. تنصحه فاطمة بالمضي وراء حلمه وتعده بانتظاره في الصحراء. خلال هذه الأحداث تترصد الرابطة بين هذا الراعي والكون حتى يصبح عارفا بلغة الكون فاهما لعلاماته .

وتبلغ الرواية حبكتها عندما تقبض إحدى قبائل الصحراء على (سانتياغو) ومرافقة (الخيميائي) , إذ توضع العلاقة بين سانتياغو والكون على المحك. لكنه ينجح في الاختبار وينجو من الموت. يتابع بعدها الرجلان رحلتهما حتى يصل وحده أخيرا إلى الأهرامات ليكتشف أن ما ينتظره هو علامة أخرى ليصل لكنزه .

تسير الرواية في البحث في الهوية الفردية بين إثبات الذات ووهم الوجود , فكل فرد يحمل وثيقة حضوره وتاريخه

7 - جاءت تسميته نسبة إلى مدينة برازيلية تميزت بقديسها العادل والشجاع والمثابر والمجتهد في خدمة رعيته , حتى بات هذا الاسم يطلق على من يحمل هذه الصفة على من يحمل الروح الأنوية لهويته أو قبيلته أو عشيرته وغيرها ويجتهد إلى إرضائها .

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

المحور الثاني:

الهوية الفردية الضياع الوجودي ووهم إثبات الذات :

كل فرد يحمل وثيقة حضوره وتاريخه الذين يترجمان فكره الفلسفي والديني والاجتماعي وتشيران إلى مواقفه التي تقترن بمشاعر المجتمع ؛ بوصف الفرد يرتبط بواقعه الذي يعيشه بعلاقات إيجابية تأثرا وتأثيرا مع أقرانه . غير إن هنالك قيود تحكم تلك الوثيقة تخنقه وتشل حركة واقعه وهي مجمع مظالم وسلطة تعنى إدامة وجودها بالتسلط لتحمل الهوية وهم الهوية أو إثباتها . يحاول (باولو كويلو) إثبات أن روايته (الخميائي) جاءت متأثرة بالموروث الإسلامي (الصوفي) ؛ لينقل من خلال هذا الادعاء أن الموروث الصوفي قائم على ثلاثة رؤى جسدتها صورة (حسن) الذي ظهر أنموذجه مرتين الأوّل في تقديم الرواية بأنها مقتبسة من الموروث الصوفي هذا الموروث الذي يقوم على السراق (اللصوص) في تغذية تجاربهم , والشخص الثائر المتهور المتجسدة بصورة (الكلب) , والعالم الجاهل الذي ينتقص منه شاب مراهق[8] والثانية بوصفه تاجرا لا يأبى لأي خسارة يتعرض لها ولا يحتمل عبء أخطائه[9] هذه الرؤى التي تقوم عليها الرواية بكاملها , لتكون الرواية بهذا ترسم صورة استعمار الأندلس من أصحابها الأصليين (الاسبانيين) ومحاولة إثبات عروبتها , فدخول (سانتياغو) ونعاجه بلاد الأندلس هو دخول العرب الفاتحين بقيادة (طارق بن زياد) الذي نجح في تحقيق الانتصار وفتح الأندلس بخلاف من قبله (موسى بن نصير) بائع الفشار أو المنقب اللذينِ فشلا في تحقيق حلمهما فتح الأندلس . أما ملكي صادق فهو صورة أو أنموذج حاكم الأندلس آنذاك(يليان) الذي تعاون مع (طارق بن زياد/ سانتياغو) وساعده في تحقيق حلمه منذ البدء, بعد أن رأى بلاده تنهار أما جرف التيار الإسلامي وتقدمه في بلاده[10] فحاول العرب في الأندلس بشتى الطرق والوسائل الامتزاج والانسجام مع سكان الأندلس من خلال عقد المكاتبات والمصاهرة والتداخل في العادات والتقاليد وبعض الطقوس نجح بعضها وفشل الآخر .

إنّ الرواية رسمت ثلاث صورا للهوية, ظهرات في المقدمة في الرواية, التي تمثل عتبة ومنطلق الرواتية وفكرتها الحقيقية؛ لأنها رسمت صورت العربي, وحاولت تقديمه للقارئ بتلك الصور, فرسمت الصورة الأولى بوصفه السارق / الاستعمار التي اتضحت في العربي الذي التقى به في المقهى : ((**كان القادم الجديد فتى يرتدي الزيّ الأوربي , ولكن لون بشرته يدل بوضوح , على أنه من هذه المدينة , إنه يشبهه في طول القامة وفي العمر**))[11] بعد أن استشعره بالأمان والاطمئنان , فحاول أن يقول (باولو) إن الصراع قائم بين أولاد الجلدة الواحدة, فكل منهما يسعى إلى النيل من الآخر واثبات كينونته, بوصفه القائد البطل الخارق, كأن عملية تغير فعل البطل الخارق في تحقيق حلمه, يعود إلى معناة نفسية, تصارع ما بين (الأنا) و(الهم), فلا بد أن تتصدر الــ(أنا) وتكون محور أي فعل أو قول, حتى يتحقق فعل عدم التشابه في (طول القامة والعمر) ومن هنا يمكن القول إن الوطن الذي يحكمه مستعمرون يمكنهم من التسلط وإشباع الرغبات, من جهة أخرى رسم(باولو) هدفا آخرا لذلك البطل الخارق, بأن يكون اديبا ومغامرا وباحثا عن كنزه الخاص وتمثل في شخصية(سانتياغو) : **((وراوده , فجأة , شعور بأنه يستطيع أن ينظر إلى العالم كضحية تعيسة لأحد اللصوص , أو كمغامرة يبحث عن كنز))**[12] وهذا نوع من إثبات الهوية وتحقيق الوجود الذاتي بتفعيل الذات الحالمة؛ لتتحول فيما بعد إلى حقيقة؛ لأن الانغماس يمكن أن

---

8 - ينظر : الخيميائي , باولو كويلو , ترجمة : جواد صيداوي , تدقيق لغوي : روحي طعمة , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , ط 18 , بيروت : 9 – 11 .

9 - الرواية : 69 .

10 - ينظر : قادة فتح الأندلس , محمد شيت خطاب , مؤسسة علوم القرآن(بيروت) , والمنار للنشر والتوزيع (دمشق) , ط1 , 2003 : 1/ 140 – 146 وما بعدهما (إذ يحاول الكتاب) رصد تحرك العرب في تحرير الأندلس بوصفها رقعة إسلامية والبؤرة المركزية لنشر الإسلام في أوربا .

11 - الرواية : 50 .

12 - الرواية : 56 .

يُضمر في الذات والأنا الحالمة والمتلقي في آن ، فاعلية أو استمرار فاعلية المتسلم الحسي في بناء العملية الخطابية أو الحلم[13], أي يمكن القول إن شخصية(سانتياغو) تحاول أن تثير في الرواية قوة الشخصية في مواجهة عجزها البوح بمشاعرها وما تروم إليه.

أما الصورة الثانية الهوية المتسلطة / المتهورة (الكلب) أنموذجا فقد حاول (باولو) رسم صورتها باستعمار العرب وكيفية نقل السلطة من المركز إلى السلطة المحلية التي تحاول تحقيق الثراء الذاتي, عندما عثت في البلاد الفساد ؛ فقتلوا وسلبوا وهددوا أمن المنطقة[14] , إذ يقول (باولو) : ((**اقتيد القادمون الجدد , على الفور , ليمثلوا أمام زعماء قبائل في الفيوم , وجد الفتى صعوبة في تصديق ما تراه عيناه , فبدلا من مكان صغير , يحتوي على بئر , وتحيطه أشجار النخيل (بحسب الوصف الذي قرأه , ذات مرة , في أحد كتب التاريخ) تبين له أن الواحة أكبر بكثير من عدة قرى , مجتمعة , من القرى الإسبانية . فهي تحتوي على ثلاثمئة بئر , وخمسين ألف شجرة نخيل , وعدد كبير من الخيام الملونة المنتشرة بين أشجار النخيل**))[15] فثلاثمئة وخمسين فارسا استطاعت أن تتماسك ثقافيا واجتماعيا, وأزاحوا سلطة المركز التي قبلت الأمر ورضخت لهذه الفئة , وكأن السلطة قوة تنهض على أضعاف قوة أخرى أو المحافظة على وجودها , أي إن السلطة هنا تمثل رفض (الكلب) أن يكون هنالك من ينافسه أو يدانيه ليقرر المواجهة ويبسط نفوذه , وهو بذلك يضعنا أمام معادلة الحياة والموت فتكون أما الحياة مسكونة بالموت أو الموت يبعث الحياة : ((**المحاربون إذن يعيشون الحاضر ببساطة ؛ لأنهم يرونه غنيا بالمفاجآت , ويحتم عليهم أن يكونوا متيقظين لأمور كثيرة : أين يكمن سيف العدو وجواده , وأي ضربة يسدون لينجوا من الموت**))[16], أي إن المحاربين يعيشون واقعية ذاتهم الآنية, لأن وعيهم هو الوحيد القادر على أين يكمن عدوهم بوصفه الآخر, فضلا عن فهو ((**القادر على تصوّره أو تلمّسه ، ومن دون الوعي يستحيل إقرار وجود الآخر ومعرفته. ولأن عملية الوعي ، مركبة ، فردية ، جماعية ، قبلية ، قومية، دينية، أثنية**))[17], إذ إن الوعي يحاول أن يجعلهم على الاستعداد للمفاجآت, ويجعل سلوكهم وفعلهم قابلا للتبدل والتحول تبعا لقيم الفرد والآخر الذي يواجهه ؛ لأن((**في المراحل التاريخية المتعاقبة تسود قيم وأنماط ثقافية دائمة التبدّل هي في كثير من الأحيان مُشاكِلة لمراحلها التاريخية نفسها، من حيث التبدّل والتحوّل الدائم وعدم استقرارها على حال واحدة. ويأتي هذا الاختلاف استجابة طبيعية لحيثيّات كل مرحلة وسياق عصرها**))[18], يمكن القول إن توظيف الوعي هنا هو توظيفا متحولا لتحقيق النجاة والبقاء, فأنا موجود ما دمت واعيا, فوجود مرتهنا بوعي وقابلية توظيف الوعي بما يلائم المراحل التي تتعاقب للقضاء على الاضعف وغير واع.

أما الصورة الثالثة, فقد رسمت حالة الاضطراب ما بين الإيمان (بالله) واختبار القدرة والإرادة , فـ(حسن) أحد كبار المتصوفين كان في البدء يعيش في سجن الدنيا ويبتعد عن جنة الآخرة ؛ لأنه كان بعيدا عن نور الحكمة فاستيقظ ذلك النور عن طريق صبي وحكايات الآباء والأمهات لأطفالهم , حتى أصبحت ذاته تتوق إلى الطبيعة ومحاولة الاندماج فيها وبهذا الفعل يرجع إلى النزعة الحيوانية الأولى التي تحرر منها الإنسان منذ القدم, ليكون بهذا ما يقوم به يخلو من الاعتبارات والأنظمة والأعراف ... الخ, التي تحكم سلوك الإنسان وتقننه بما يخدم إنسانيته . وتمثل هذا السلوك بصورة جلية في مشهد التقاء (سانتياغو) وملكي صادق قائد المعسكر الذي يرى بأنه إله يوهب ويمنع , إذ يقول بعد ما عرض عليه (ملكي صادق)

13- ينظر : نقد الشعر في المنظور النفسي : 59-60.
14 - ينظر : علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا , (138- 300هـ /55 7– 912م) , سائدة عبد الفتاح , إشراف : هشام أبو ارميلة , جامعة النجاح الوطنية , نابلس / فلسطين (رسالة ماجستير) , 2001 : 45 ومصادرها .
15 - الرواية : 107 .
16 - الرواية : 120 .
17- الآخر في الثقافة العربية : 20.
18- خطاب الآخر (خطاب نقد التأليف الأدبي الحديث أنموذجاً) ، د.عبد العظيم رهيف السلطاني ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي – ليبيا ، ط1 ، 2005م : 19.

حياته وحياة سانتياغو : ((**لا يمكنك أن تمنحني ما هو بالأساس ملك لي**))[19], هذا القول يؤيد ما ذهبنا إليه هو انفصال الإنسان من الإله ورجوعه إلى مركزية الذات الإنسانية وصعودها على الإله , أي هنالك رجل من دون الله تعالى يعرف أسرار العالم ويتكلم مع الجن ويشفي جميع الأمراض[20] الذي أصبح سانتياغو فيما بعد , إذ أصبح ((**القائد الأعلى ... قد تناهى إلى سمعه مجد الله**))[21] **فضلا عن فهو قد ((توغل ... في روح العالم , ورأى أن روح العالم هي في روح الله وأن روح الله فيه ... وبات باستطاعته منذ الآن , أن يجترح المعجزات**))[22] , وكأن ما أراده (باولو) القول بأن العرب متوحشون لا يؤمنون بالإنسانية وحق الحياة للآخر. وبهذا الفعل لم يكن في الرواية الهوية الوطنية؛ لاختلاف دلالة اللغة والدين والأرض و العادات والتقاليد التي تحكم الأطراف , للعرب هويته الوطنية التي تميزه والأندلسي هويته التي تميزه وهذه الهوية هي الانتماء الذي يحدد المعرفة أي الانتساب؛ لأن ((**الإنسان السعيد هو من يحمل الله في أعماقه**))[23] والرابط بينهما نسجه (الله تعالى) خالق الأكوان بالحب, بـ((**روح العالم المصوغة من الحب**))[24], بهذا يكون تناقضا في وظيفة الإنسان ووجوده وبين غايته الحقيقية في زرع القيم والحفاظ على صفاء سريرتهم والفطرة التي فطرها خالقهم عليها .

المحور الثالث:

<u>الهوية القومية والتعانق الحضاري :</u>

تحمل الهوية القومية استراتيجيات سياسية متعددة تربط الوطن بالخارج و بالداخل , وهنا يكون الوطن بمعناه المادي أي الساحة الاجتماعية, أي عالم متداول ومتجدد بتجدد افراده, ويحتاج هذا العالم لغة مخاطبة وبنية تواصلية, حتى تتحقق لكل وطن قوميته الخاصة, وهي ما تسمى سردية الوطن, التي تشدد على آلية توليد مفاهيم ولغة تخاطبية, تفصح من خلالها على انظمتها, فيحقق تعانق بتلك السردية بين الأمم والشعوب, فينتج من خلالها فاعلية إنتاج وتصدير لثقافات, فضلا عن فتح آفاق مشاركة تفاعلية , تنتج مكونات ثقافية وتاريخية.

إن االبحث عن الهوية القومية, تتطلب أن تحمل تعانق حضاري وفكري, فضلا عن تقديم منهج يعبر عن الدلالات المهيمنة في كل دولة؛ حتى يتيح معرفة نوع السلطة ونوع الثقافة السائدة, أي الكشف عن منظومة متكاملة من مرجعيات تاريخية وثقافية تتيح التواصل بقصد تفاعلية, حتى يكون هنالك جسر من التواصل المؤثر وبناء استراتيجية أممية تفاعلية.

وهذا المفهوم اتضح بصورة (فاطمة) بوصفها الوطن الحقيقي الداخلي التي تربطه بوطنه الخارجي (قلعته) الصغيرة التي غادرها , إلا إن(باولو) جعلها تنتقص إلى الانتماء والانسجام حتى أصبح فيها الماضي أفضل من الحاضر, فكان هنالك جسر من التواصل المؤثر والمتفاعل من خلال شخصية(سانتياعو) الذي رآها, تحمل سردية وطنية, يمكن التعانق بين ثقافتين إذ يقول : ((**إنك تحتفظين , في مكان ما , بالمرأة التي أحب , لذلك, عندما أنظر إلى رمالك المترامية , فإني أتأمل تلك المرأة أيضا . أريد العودة إليها**))[25], فـ(فاطمة) حلقة تواصله وانسجامه مع وطنه الخارجي , ولولاها يكون مغتربا يظل يجوب البلاد شرقا وغربا , وبهذا يكون الوطن ليس الذي يعيش فيه الإنسان, بل كما يتمناه, ويحلم به , فـ(فاطمة) كانت ملاذا آمنا وحضنا حانيا أتاحت لـ(سانتياغو) البوح بالمرتكز أو المفهوم الحاكم الذي يدور حوله الإنسان والذي يحقق ارتقائه وإثبات وجوده ونبذ وهم الانتماء , فضلا عن القوة التي تمنحه

19 - الرواية : 159 .
20 - ينظر : الرواية : 113 .
21 الرواية / 171 .
22 الرواية : 170 .
23 - الرواية : 149 .
24 - الرواية : 167 .
25 - الرواية :163 .

التحرر من الاغلال , ليكون بذلك الكون مبني على أن الواحد لا يكون ولا تفهم وظيفته وكينونته إلا بوجود الآخر (الكائن الحي أو الجماد), أي كانت تمثل الطفرة إلى عالم المستقبل, بما يحمل من خطاب دلاليا من الوعي والفكر؛ لأن ما بحث عنه(سانتياغو) البديل ما يعانيه منذ الطفولة, لم يسقط في متاهات ومعتركات, بل جعلها نقطة انطلاق للامام.

إن المحاول البحث في الهوية جاءت على وفق رؤية ثابته ومتجذرة, يحكمها ثلاثة أبعاد اتية وفردية وقومية, تنتج من خلالها صورة الفرد, وكيف يرى الآخر أو كيف يراه, فالبحث في الهوية هو ضفيرة انسدلت للأسفل, أي إن الهوية في جذورها متأصلة وقوية ومتينة, إلا إن الفرد يتلوى ويحتذي طرقا ومعترك في البحث عنها, كلما ابتعد عن جذوره ضعفت هويته, فهو في البحث لا والالتواء لم يدرك ذلك, إلا إنه في نهاية البحث ووفي الوهن والكهل يكتشف وهم البحث, فهويته متجره واسمه ثابت, فالهوية تحمل تخوم الرحلة, تحال على وهم الهوية الفردية التي تنبث من هوية ذاتية قوية تتصدر إلى هوية قومية حضارية.

النتائج

إن العمل على تحقيق هوية مشروعة ومتجذرة, هو البحث عن ظل يستظل به الانسان, ويحتمي به عن اللوم عدم البحث تأنيب الضمير, وكأن صراع الفرد في الوجود أن يجد مصطرع نفسي, يجر به حاضره إلى ماضيه لعله ينتقل به إلى مستقبله, فيجد إن البحث في الهوية يملي مجوعة نتائج, ولاسيما في رواية(الخيميائي) بوصفها رواية ترى الوجود في صورة الواحد, والواحد هو الكل, لعل أهم النتائج هي:

١- تحمل الهوية هوية الاتصال والانفصال, فالوطن ليس حدود وخطوط, وإنما انتماء ولغة تحاور, ومرتكز ثابت يرتكن إليه الفرد في أي زمان ومكان.
٢- إن البحث في الهوية بحثا حقيقيا وجوديا, أما البحث عن الهوية بحثا سرديا يعبر عن انتماء أعمى لمجرد الاسم أو الانتماء, فسردية الهوية هي التأثر والتأثير القصدي, الذي ينقل ثقافات ومعارف, ويربط الفرد بروابط فعلية حقيقية لا يمكن تجزئتها.
٣- تنطلق الهوية من احساسه بقضايا حقيقية, أي لا تنطلق من أطر سياسية واجتماعية واقتصادية, تكون هوية حضارية شاملة لجوهر الإنسان.
٤- إن البحث في الهوية هو البحث عن تراكم فكري متجذر لايمكن محوه, بل تجعل الهوية الآخر ينصهر في بوتقتها.
٥- الهوية تحكمها منظومة قيمية, بوصفها قضية محورية وهي رصيد استراتيجي ثابت للفرد, فضلا عن فهي رصيد واع مقصود يهدف إلى التأثر والتأثير.

المصادر والمراجع:

- **الآخر في الثقافة العربية ، شعوب الشرق الأقصى ، شمس الدين الكيلاني، وزارة الثقافة ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ط1 ، 2009م.**
- **الإنسان ومشكلاته المعاصرة الاغتراب , الآخر , الانتظار , الأمل , حسن يوسف , دار الأجيال , القاهرة, ط1 , 2008.**
- **تمثيلات الآخر صورة السود في العصر العربي الوسيط , نادر كاظم, المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ط1 , 2004.**
- **خطاب الآخر (خطاب نقد التأليف الأدبي الحديث أنموذجاً) ، د.عبد العظيم رهيف السلطاني ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي – ليبيا ، ط1 ، 2005م .**
- **الخيميائي , باولو كويلو , ترجمة : جواد صيداوي , تدقيق لغوي : روحي طعمة , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , ط 18 , بيروت .**
- **شخصية الفرد العراقي , علي الوردي , مطبعة الرابطة , بغـــداد , د.ط , 1951.**

- علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا , (138- 300هـ /55 7– 912م) , سائدة عبد الفتاح , إشراف : هشام أبو ارميلة , جامعة النجاح الوطنية , نابلس / فلسطين (رسالة ماجستير) , 2001..
- قادة فتح الأندلس , محمد شيت خطاب , مؤسسة علوم القرآن(بيروت) , والمنار للنشر والتوزيع (دمشق) , ط1 , 2003 .
- قراءات في أعمال (يوسف الصائغ, يوسف إدريس ,جبرا إبراهيم جبرا, حنا مينة), غالب هلسا, دار ابن رشد, عمان .
- نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ريكان إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، ط1 ، 1989م.
- الهوية والاختلاف(المرأة, الكتابة , الهامش, محمد نور الدين افاية , دار إفريقيا الشرق , و الدار البيضاء,
- الهوية والتراث, صلاح قانصورة , دار الكلمة , ط1, بيروت, 1984.